الواقع إلا عن النص كعاكس لبعض التصورات الثقافية للعصر الذي ينتمي إليه، وليس كمساهم في بناء تصورات جديدة، وهذا ما يجعلها لا تخرج عن نطاق سوسيولوجيا النص الحيادية التي وجدناها عند «باختين».

ونجد من جملة سوسيولوجيي النص الروائي الناقد «ميشال زرافا» (Michel Zéraffa) الذي تعتبر أبحاثه في الواقع سابقة على مصطلح سوسيولوجيا الرواية، إلا أنه يسير في هذا الاتجاه، وخاصة على طريقة «زيما» الذي يخرج من الدائرة الضيقة لمفهوم الحوارية الباختيني ليجعل النص الروائي قابلاً لأن يعكس موقفاً محدداً من مجموع الثقافات والإديولوجيات تلك التي تدخل في تركيب النص الروائي ذاته. ويمكن تلمس اتجاه «زرافا» هذا من خلال المحاور التالية:

ـ التأكيد على استقلالية تاريخ الأشكال الروائية، فالرواية لا يمكن اختزالها إلى مجرد تاريخ أو مجتمع[202].

ـ إن الروائيين الذين لا يصورون الواقع الاجتماعي بشكل مباشر هم أيضاً يعبرون عن موقف من الواقع[203] ذلك أنه إذا كان الواقع مرفوضاً من طرف بعض الروائيين الجدد، فهذا لا يعْني أنهم لم يختبروا إساءة الواقع[204].

ـ إن كون النص هو ظاهرة عقلانية كما وضَّح الشكلانيُّون يعني أن كل ترتيب بنائي فيه له علاقة مباشرة بنظام اجتماعي ما أو بالخطاب البلاغي لثقافة معينة[205].

وهذه الفكرة الأخيرة على الخصوص تعيدنا إلى مفهوميْ «الحوارية» و«التناص».

ـ إن الإضافات التي جاءت بها السيميولوجيا المعاصرة كمَّلت سوسيولوجيا الأدب لكونها جعلت مفهوم الشكل يجمع بطريقة لا تقبل التفريق بين المدلولات الاجتماعية والدوال الأدبية[206].

ومما يجعل «زرافا» يبتعد قليلاً عن سوسيولوجيا الرواية الحيادية للأخذ بسوسيولوجية نصية روائية جدلية، هو استفادته من بعض ملاحظات «بيير ماشري» (P. Machery) ومنها التمييز بين:

ـ السوسيولوجيا من خلال الرواية.

---

(202) Michel Zeraffa: **Roman et Société.** Presses universitaires de France 1976. P. 14.
(203) Ibid., P. 27 - 28.
(204) Ibid., P. 33.
(205) Ibid., P. 74.
(206) Ibid., P. 76.